

مصحف مسقط الإلكتروني: أول المصاحف الإلكترونية ذات التفاعل مع النص

■ أحمد منصور

لقي النصّ القرآني عنايةً خاصةً من النساخ، فتفننوا في ابتكار أساليب زخرفية رائعة بدايةً من الصفحتين الأوليين، اللتين فازتا بالنصيب الأكبر من الزخارف والتذهيب، مروراً بأسماء السُور، وفواصل الآيات إلى نهاية المصحف، حيث نجد الصفحة الأخيرة التي تحتوي على معلومات النسخ (مكان النشر، التاريخ، اسم الخطاط وشهرته، وبعض الأدعية)، وأضيفت لاحقاً صيغة وقف المصحف على يد أحد السلاطين.

كان إطلاق مصحف مسقط الإلكتروني في السابع عشر من شهر رمضان 1438هـ الموافق 12 يونيو 2017م حدثاً كبيراً على صعيد تصميم وطباعة المصاحف. يُعدُّ مصحف مسقط أول مصحفٍ إلكتروني تفاعلي حيث يتيح للمستخدم تجميع النصّ القرآني بحسب ما يناسب احتياجاته البصرية، ونظرته الجمالية للخط العربي. كذلك لفت الانتباه إلى الجهود المستمرة في خدمة كتاب الله تعالى منذ عصر الصحابة الكرام وإلى يومنا. كذلك فإن إطلاق هذا المصحف التفاعلي يدلُّ على أن خدمة كتاب الله هي الغاية، وأن

■ باحث من مصر.



التكنولوجيا الحديثة هي الوسيلة، فكلما توافرت أفكارٌ مناسبةٌ لخدمة كتاب الله، اتجهت الأنظار إليها.

كانت بداية التفكير في هذا الأمر عام 2008 إبان إطلاق المصحف العُماني الورقي مباشرة؛ حيث بدأت وزارة الأوقاف العُمانية في هذا المشروع الذي يُعدُّ الأول من نوعه على مستوى العالم.

المحاولات الأولى لطباعة المصحف الشريف

على الرغم من العناية التي حظي بها المصحف الشريف من حسن الخط والزخرفة والتجليد والتذهيب؛ فإن طباعة المصحف الشريف تأخرت كثيراً في العالمين العربي والإسلامي، حيث ظلَّ طبع القرآن محرماً بمقتضى فتاوى العلماء إلى تاريخ متأخرٍ في العالم الإسلامي بناءً على بعض الآراء التي تقول بمنافاة مواد الطبع للطهارة وبعدهم جواز ضغط آيات الله بالآلات الحديدية واحتمال وقوع خطأ في طبع القرآن. ومن المفارقات أن يكون السبق في طباعة المصحف الشريف للأوروبيين، حيث ذكر العديد من المصادر أن القرآن الكريم طُبِع لأول مرةٍ باللغة العربية في البندقية في مطلع القرن السادس عشر الميلادي.

مصحف الشيخ المخللاتي

قبل الحديث عن مصحف الملك فؤاد يجدر بنا أن نعرِّج ولو سريعاً على مصحف الشيخ المخللاتي، خاصة وأنه يُعدُّ بمثابة أول مصحف مطبوع يصدر مصححاً على الرسم القرآني العثماني، بعد أن كان العثمانيون يكتبون المصحف الشريف بالرسم الإملائي.

قامت المطبعة البهية بالقاهرة، لصاحبها «محمد أبو زيد» في عام 1308هـ/1890م بطبع المصحف الشريف الذي راجعه الشيخ المحقق «رضوان بن محمد» الشهير بـ«المخللاتي» صاحب كتاب «إرشاد القراء والكاتبين إلى معرفة رسم الكتاب المبين»، وقد عُرف هذا المصحف

بمصحف المخللاتي، إلا أن رداءة ورقه، وسوء طباعته الحجرية حفز مشيخة الأزهر إلى تكوين لجنة لمراجعة المصحف، خاصة رسمه وضبطه، حيث ظهرت نسخة مطبوعة من المصحف تتوافق مع أمّات كتب القراءات والرسم، والضبط، والتفسير، وعلوم القرآن، وصححت ما في الطبعة الأولى من هنات في الرسم والضبط، وطُبع طبعة ثانية مدققة ومحققة. وبذلك ظهر في مصر بل وفي العالم الإسلامي الاهتمام الأول بشكل المصحف الشريف ورسم آياته الكريمة على الرسم العثماني الموروث عن صحابة رسول الله ﷺ، حيث تشكّلت في الأزهر الشريف لجنة مراجعة المصحف الشريف.

ظهر في مصر بل وفي العالم الإسلامي الاهتمام الأول بشكل المصحف الشريف ورسم آياته الكريمة على الرسم العثماني الموروث عن صحابة رسول الله ﷺ، حيث تشكّلت في الأزهر الشريف لجنة مراجعة المصحف الشريف.

الملك فؤاد: أول مصحف رسمي مطبوع في العالم الإسلامي

يعتبر مصحف الملك فؤاد أول مصحفٍ مطبوعٍ رسمياً من قبل الدولة في العالم الإسلامي لرواية حفص عن عاصم المنتشرة في بقاع العالم، وقد سبقتها محاولاتٌ عدّة قامت من قبل المستشرقين، فطُبع المصحف الشريف في إيطاليا وألمانيا؛ لكن كثرة الأخطاء الواردة في تلك المحاولات لم يُعتدّ بتلك

الطباعات لتكون أولى الطباعات الرسمية المعتمدة للمصحف الشريف برواية حفص عن عاصم. جدير بالذكر أن هناك مصحفاً قد طُبع في فزان عام 1295هـ/1877م؛ لكنه لم يخلُ من الأخطاء؛ إلا أن القائمين على طباعته حرصوا على الإشارة إلى مواضع الخطأ مقرونةً بالصواب في خاتمته.

وقد وضع الخطاط المصري محمد جعفر بك أصول هذا الخط للمطابع ليتم سبكه بالأحرف الرصاصية واستخدامها في طباعة المصحف الشريف. وتمّ جمعه وترتيبه في المطبعة الأميرية، وطُبع في مصلحة المساحة سنة 1342هـ، وكانت هذه هي الطبعة الأولى.



انتشار طباعة المصحف الشريف في منطقة الخليج العربي

ظهر حراك ديني في منطقة الخليج العربي نحو الاهتمام بطبع المصحف الشريف في أوائل القرن العشرين، حيث كانت بدايات مصحف مكة المكرمة على يدي الأستاذ محمد سعيد عبد المقصود في عام 1369هـ/1949م. توجت رحلة هذا المصحف بافتتاح مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في عام 1405هـ/1984م. كذلك ظهرت مصاحف ورقية أخرى في منطقة الخليج مثل مصحف قطر، والذي بدأ التفكير في طباعته في عام 1999م، ومن ثمّ تمّ تنظيم مسابقة دولية فاز فيها عبيدة البنكي، والذي نال شرف كتابة المصحف الشريف، ثم ظهرت مصاحف تالية في دولة الإمارات العربية المتحدة؛ مثل مصحف الشيخ خليفة بن زايد، ومصحف الشيخ مكتوم بن راشد، ولكلٍ منها طابع مميّز عن المصاحف الورقية الأخرى.

بالإضافة إلى ذلك تمتلك دار المخطوطات بوزارة التراث والثقافة العُمانية كمية كبيرة من المخطوطات المصحفية. تمتلك هذه المجموعة خصوصية في نمط كتابتها وتجليدها وزخرفتها وتذهيبها، ومن أشهر أمثلتها: «مصحف القراءات السبع بخط عبد الله بن بشير الحضرمي، ونسخة المصحف الشريف بخط عامر بن سليمان الريامي، ونسخة المصحف الشريف بخط خميس بن سليمان الحارثي».

مصحف مسقط الإلكتروني: أول مصحف إلكتروني تفاعلي في العالم الإسلامي

إنّ مصحف مسقط ليس الأول الذي يظهر في منطقة الخليج العربي، والتي شهدت زخماً وحراكاً إيجابياً للحفاظ على كتاب الله تعالى، ومن ثمّ تسخير التقنيات الحديثة في نشر وتيسير التعامل مع المصحف الشريف. لكن يميّز مصحف مسقط الإلكتروني بأنه هو الأول من نوعه الذي يظهر فيه التفاعل بين المستخدم وبين النصّ القرآني من ناحية الرسم العثماني للآيات. تعدّ هذه الخاصية أهم ما يميّز مصحف مسقط.

إن المصاحف الإلكترونية السابقة على مصحف مسقط - مثل مصحف جامعة الملك سعود، والذي يتميز أيضاً بالتفاعل لكن على مستوى تفسير الآيات وأسباب النزول - التي نجدها في العالمين العربي والإسلامي وهي مصاحف مصورة من المصحف الورقي على نظام pdf، أما هذا المصحف فهو جمع وصف من جديد، بل تمَّ اختيار خطوطه بعناية فائقة من مجموعة خطوط نسخية على الرسم العثماني، وأيضاً طريقة وضعه في شكل إلكتروني هي طريقة فريدة ومميزة وفق مقومات ونظم جديدة لم يسبق إليها أحد.

يُعدُّ مصحف مسقط الإلكتروني أول مصحف يتمُّ ترميزه وبرمجته إلكترونياً؛ بحيث يكون كل حرف وكل حركة في القرآن الكريم مبرمجاً رقمياً ليتوافق مع الشبكة العالمية في جميع الظروف دون الحاجة إلى برنامج مشغلٍ أو مستعرضٍ.

كذلك يُعدُّ مصحف مسقط الإلكتروني أول مصحف يتمُّ ترميزه وبرمجته إلكترونياً؛ بحيث يكون كل حرف وكل حركة في القرآن الكريم مبرمجاً رقمياً ليتوافق مع الشبكة العالمية في جميع الظروف دون الحاجة إلى برنامج مشغلٍ أو مستعرضٍ، يتميز المصحف بوجود خطوط النسخ الموافقة للرسم العثماني وفق ما هو متاح؛ ولذلك كل كلمة تحوي على دلالتها ومثلتها من خطوط النسخ التي اتفق عليها علماء القراءات؛ ولذلك سيفتح هذا المصحف

مجالاً رحباً للباحثين والدارسين المهتمين بالخط العربي أولاً، ثم المهتمين بجماليات الخط العربي ثانياً، ثم الباحثين والدارسين المهتمين بالعلوم والدراسات القرآنية.

ويمكن لأي مسلم أن يقوم بتكوين مصحف بالكامل؛ ولكن هناك ضوابط لذلك، فلا بدَّ أن يعلم أنه بمجرد حصوله على نسخة إلكترونية من هذا المصحف يمكن طباعته وتوزيعه، بل لا بدَّ أن يمر ذلك على لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، على الرغم من أن النسخة المنشورة على الإنترنت قد تمت مراجعتها واعتمادها من قبل مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف على مدار ثلاث سنوات.

البحث:

تمّ توظيف نظام (الإسطرلاب) للبحث بحيث تحدد اسم السورة، ثم يقوم نظام البحث بالإسطرلاب الدائري لتحديد الموقع على صفحات المصحف أو كتابة رقم السورة، ويقوم البرنامج بالبحث المباشر، كما توجد قائمة على يمين البرنامج بأرقام الأجزاء، وبمجرد النقر على رقم الجزء يقوم النظام بالوصول إلى الجزء المطلوب البحث عنه، مما يُعدُّ ميزة مهمة تسهل من عملية البحث.

التصميم:

ألوان المصحف الإلكتروني تعكس ألوان البيئة الطبيعية العُمانية، والتي عادة تكون من اللون الأحمر (انظر مصحف عامر الريامي - دار المخطوطات العُمانية)، أو اللون الأسود كلون أساسي وأسماء السور بدرجات الأحمر (انظر مصحف خميس الحارثي - دار المخطوطات العُمانية)، وقد تمّ استخراج أشكال الزخارف من أشكال الأزهار، وكذلك تم استنباط الأشكال الهندسية الموجودة في المصحف - مثل رموز بدايات الأحزاب والسجّات من - المناظر الحضارية والعمائر الإسلامية بعمان، وقد تمّ اعتماد هذه الأشكال من منظمة اليونيكود.

الخط:

نص الآيات مكتوبة على أساس نموذج كمبيوتر إلكتروني، ومن المميزات الخاصة بالنصوص العثمانية التغير الديناميكي للأشكال، فمن الممكن للكلمة الواحدة أن تكتب بألاف الأشكال، أما بالنسبة للعناوين فقد تمّ استخدام الخط الكوفي بشكله الأقدم وهو الكوفي المصحفي، وقد استخدم هذا الخط من أجل استحداث نموذج مختلف لخط عناوين المصحف، وأيضاً تمّ استخدام الألوان، وتمّت إعادة تمثيل المصحف العثماني على أساس طريقة وضع نسخ القرآن على مرّ السنوات، كذلك تمّ

الاعتماد على تحليل الكتابة العربية وتحليل تفاصيل ترميز النصوص، وكذلك اعتمد على تصميم البرمجيات وتصميم الأنماط وتصميم الشبكات الإلكترونية، وكل ذلك أدى إلى الابتكار التكنولوجي ويمكن لهذه التكنولوجيا، أن تُستخدم في أي لغة، فقد حررنا النص.

اختير الخط بعد بحثٍ حثيثٍ في أنواع الخطوط العربية ورسوم الخط القرآني، إلى أن اختير خط النسخ الأصيل وحركات المصحف، مما اتفق عليه القراء العشرة، وفي عناوين السور استخدم الخط الكوفي المصحفي للإشارة إلى أنه أول خط رُسم به المصحف، كما يوفر المصحف خاصية اختيار نوع الرسم العثماني وإظهار كل الاحتمالات المستخدمة في الخط، ومن ضمنها:

تمّ توظيف نظام (الإسطرلاب) للبحث بحيث تحدد اسم السورة، ثم يقوم نظام البحث بالإسطرلاب الدائري لتحديد الموقع على صفحات المصحف أو كتابة رقم السورة، ويقوم البرنامج بالبحث المباشر.

- تغيير شكل الحروف وطريقة رسمها.
- التحكم في المسافة بين الأحرف والبُعد بين الكلمات.
- طريقة رسم التشكيل والنقاط والإشارات واختلاف المدود وتدرجاتها، مع خاصية تلوين النقاط والحركات والوقفات.

مصحف مسقط الإلكتروني واتحاد الترميز العالمي

إن مصحف مسقط الإلكتروني سبب رئيس في عضوية السلطنة لدى اتحاد الترميز العالمي (اليونيكود)، فعبّر عضوية الوزارة في هذا الاتحاد تكون السلطنة الأولى عربياً في الحصول على هذا السبق، وبذلك يكون مصحف مسقط قد أسهم في حفظ اللغة العربية وحفظ الكتاب العزيز من منطلق حفظ الله تعالى له. أخيراً لا بد أن نؤكد أن الأصل في المصاحف هي المصاحف الورقية المطبوعة، لكن استخدام التكنولوجيا في خدمة كتاب الله هو عمل جيد يشجع بصفة خاصة على القرب من كتاب الله.



ويجب أن نشير في هذا المقام أن صناعة الحرف العربي الرقمي قد تطورت في الربع الأخير من القرن العشرين، لكن ظهرت بعض الفجوات التقنية بين طريقة جمع النصوص العربية بالطريقة التقليدية والطريقة الحديثة في جمع النص من خلال استخدام الحاسب الآلي، وتم بعدها تطوير محرك المحارف العربية في موقع مصحف مسقط.

لقد بذلت السلطنة جهوداً كبيرة في نسخ كتاب الله تعالى ونشره منذ تاريخ دخولها في الإسلام، وأبرز ملامح هذه الإنجازات مصحف عبد الله بن بشير الصحاري عام 1157هـ، ومصحف الناسخ خميس بن سليمان الحارثي 1186هـ، ومصحف مسعود بن خلفان الريامي 1249هـ، ولا شك أن هناك قبلها وبعدها جهوداً مختلفة تضاف إلى هذا الإرث الحضاري البارز.

لقد تطورت رحلة تدوين كتاب الله من الجمع إلى النسخ والانتشار، ثم التجويد في الخط والزخرفة، ثم الطباعة، وأخيراً الرقمنة. لكن يطرح إطلاق مصحف مسقط تساؤلاً مهماً: هل النص القرآني يخضع للإبداع الفني دون التمعن في المعنى والقدسية، فالغرض من النص القرآني هو القراءة وليس الإبحار والتعدد في أشكال الحرف. وللعلم فإن مصحف مسقط يفتح أبواب علمٍ جديدٍ وهو الحروف الطباعية.